

أدبنا الجديد أمام مسؤوليته

بقلم محمد الجزائري

١ - المنعطف التاريخي :

يضع الانسان تطلعاته الثورية موضع التطبيق ، حين يمتلك القابلية في تحويل الفعل الثوري الى ناتج طبيعي للعمل الثوري ، وفق امتلاك كامل لوعي مدرك لمسؤوليته التاريخية ورؤية سليمة وفهم عميق لقوانين الطبيعة والمجتمع ومسار التاريخ ..

فالانسان لا يصنع تاريخه الخاص بمعزل عن الظروف الموضوعية وقوانين الحياة .. ومن هنا فالبشر لا يصنعون تاريخهم الخاص الا في « شروط محددة مورثة من الماضي لم تكن من خلقهم » وضمن الممارسة والمبادرة التاريخية التي تحقق لعمل البشر ، الفعل الثوري النجس .. لذا يجب ان نجعل من النظرية الثورية التي ترشدنا في العمل « لحظة من التاريخ الجاري صنعه » والتاريخ الجاري « كتابته » - كما يؤكد غارودي - اي « تربط بين الفكر الفلسفي والعمل النصالي لتغيير العالم » كما اراد ماركس .. لكي يمكننا ان نفهم اشكال الانتقال من بنية اجتماعية الى اخرى ، عبر فهم تاريخي وموضوعي للارض الثورية ومناخها وطبيعة التكوين والتركييب المجتمعي الذي يحقق فاعليته عبر العمل المنظم ..

وان ايجاد صيغة العمل الملائمة لا يمكن وضعها بتجريد نظري ، وبمعزل عن كامل الشروط الذاتية والموضوعية المحيطة بالبشر ، الذين لا يمكن بدونهم - طبعا - صنع شيء ..

وهكذا ففي المنعطفات التاريخية الحاسمة تمر الشعوب بلحظات تأمل امام الواقع الموضوعي ، وامام ضرورة تخطي هذا الواقع وتغييره ، لتحقيق التطلعات المشروعة للانسان ..

ومنذ الحرب العالمية الثانية ، وبعد نكسة ١٩٤٨ - على وجه التخصيص - وفتت جماهيرنا التقدمية امام مفترق طرق .. ماذا

حققت في الماضي ، وماذا يجب ان تحقق للمستقبل ؟
وامام الادياب التقدميين تجسدت الخطوط العامة للعمل كطليعة فكرية تسهم مع الطلائع النصالية للعمل من اجل الاحسن .. فوجدت - بالضرورة - ان تكون مهمة الادياب خدمة قضية الانسان ، انطلاقا من واقع التجربة التي قدمت فيها الانسانية اغلى التضحيات ..

لذا كانت مهمة الادياب التقدمي تنصب في السعي لاقامة النظام الديمقراطي الثوري لانه - وحده - القادر على تصفية مواقع الاستعمار في بلدنا ، والوقوف ضد تآمراته ، وتعبئة قوى الشعب لجابته والتصدي لاعدائه وبالتالي الاسهام النشط في قضية صيانة الامن والسلم في المنطقة وتأييد حركات التحرر الوطني ..

فلا غرابة ، اذن ، ان يجري افتتاح كبير على الادب الانساني الذي صاغ موضوعاته من نضالات الجماهير ، وتطلعاتهم المشروعة للحريية والديمقراطية والسلم والتحرر الوطني والمجتمع الافضل ، ففمرنا جيل الاربينات - من التقدميين - بالدروس العملية عبر الادب والحياة ، واغنى تجربة الانسان المكافح من اجل سعادة شعبه وحرية وطنه ، والمناضل من اجل دفع عجلة التحرر للسير على طريق التحولات الاجتماعية الاعمق نحو الاشتراكية ..

ولقد زرع جيل الاربينات ، هذا ، في اذهاننا لبنات الفكر الاشتراكي واقرب الامثلة للهن ما كرسه الادياب الراحل رثيف خوري - وصحبه - لجماهيرنا من خدمات جليلة في الادب والحياة والعلوم الاجتماعية كثيرهم من الماركسيين الذين عرفوا لنا الظواهر الاجتماعية بارتباطها الديناميكي بالحياة ، انطلاقا من كون « العلم الاجتماعي - كما

يقول لينين - ككل علم اخر على وجه العموم - يبحث في الظواهر الكشيفة لا في الوقائع المنفردة .. فالظواهر الصغر غير موجودة ولا يمكن ان توجد لا في الطبيعة ولا في المجتمع .. »

لذا فان الواقع الموضوعي حدد امام الادياب التقدمي مهمات النضال الحاسم ضد كافة اشكال الاضطهاد والعدوان ومن اجل الحرية والديمقراطية والسلم والتحرر الوطني ، ومن اجل التغيير الاعمق لتركييب مجتمعنا ودفعه للتحويل الى مجتمع جديد يتوفر فيه الاخاء الانساني ويضمحل فيه الاستغلال ، كما حدد رثيف خوري ذلك بقوله : « ان الادب افتتح على الحياة المنركمة المتجددة ابدا .. والادياب لا ينقل نسخة عن العالم الواقعي ، وانما هو يميز في ما يصف ويصور ظواهر الحياة التي تنمو من ظواهرها ، التي تذبذب وتضمحل .. » .. فقد سعى جيل الادياب لتحقيق هذا الفهم في كتاباتهم .. فكان هذا الفهم الديالكتيكي للحياة هو السمة الفكرية المميزة لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية من الادياب التقدميين ، لان مفهومهم للادب هو ان يكون جزءا من الحياة فاعلا فيه وان يرتكز على الظواهر الجديدة التي تنشق من صلب الظواهر القديمة وتنمو في رحمها .. لكنها تأتسي لازاحتها وطرح كل ما هو لا انساني من الحساب .. من ثم : « فالادياب يستطيع ان يدخل في وعي الجماهير الجديدة .. » ويستقطب حولها الناس لكي يسهم - من خلال ذلك - في تغيير سحنة الواقع المتخلف ودفع الحياة نحو الافضل .. وهذا يتطلب من الادياب اولا فهم قوانين الحياة والمجتمع وادراك طبيعة المسار التاريخي الحتمي للانسانية ، وربط نشاطيته الفعالة بعملية التحرك لخلق الجديد والانساني .. لكيما تكون فاعلية الادياب ونشاطيته بمستوى تطلعات الجماهير واهدافها المشروعة، والتحاما دائما بنضالها الدائب ضد قوى الردة والتخلف والامبريالية لان الضرورة تقتضي بناء الاشتراكية بقيادة فصائل النضال الاساسية : العمال والفلاحين بتحالفهم مع المثقفين الثوريين والجنود والضباط الاحرار .. ولان ذلك ليس ضروريا حسب « لكبح مقاومة وتخريب القوى المعادية للثورة والمهزومة ، بل وضروري ايضا - وفي الاساس - لاعادة تنظيم المجتمع بكامله على اسس اشتراكية ، ولاعادة تثقيف الشفيلسة بالروح الاشتراكية وروح الملكية الجماعية والاممية البروليتارية .. وهذا يعني الكفاح الجريء والحازم والثابتر والواحي والبرمج ضد كسل التأثيرات والعادات والايهام البورجوازية الصغيرة السيدة في المجتمع والتي تشكل تربة واسعة وقوة كبرى بيد الرأسمالية المخلوعة » وقد تجسد هذا في تجربة الجمهورية العربية المتحدة منذ الاتحاد القومي ولغاية محاكمات الثورة التي تجري حاليا ..

وهكذا فعبير تلكم الاعوام ، وعبر مئات الامثلة النصالية التي قدمتها شعوبنا المناضلة نجد انفسنا اخيرا امام نكسة جديدة اشد واعمق من نكسة ١٩٤٨ - وان تكن نتيجة طبيعية لها - واكثر اذانة لحكوماتنا التي لم تؤمن بالجماهير وبنضالها الشريف .. فاما عمل الادياب ، اذن ، بعد النكسة ، وامام هذا المفترق في درب النضال ، امام هذا المنعطف التاريخي ؟ ..

اظن ان الاجابة على الشطر الثاني من السؤال تتطلب مراجعة واعية ودقيقة لتاريخنا السياسي ، عبر ربع قرن ، وانظمتنا ، وقواعدنا الشعبية ، ومراجعة لفكرنا وماذا انجز في مجال التطبيق وقياداتنا وتنظيماتنا السياسية وماذا حققت .. وهذه عملية صعبة وشاقة آمل ان تدرس جيدا في مجال اخر وفي المستقبل القريب ..

ولكن باختصار يمكن القول ان نكسة ه حزيران بدأت منذ 1948 .. واسهمت فيها كل الحكومات البيروقراطية والديكتاتورية والعميلة، من ثم اسهمت فيها ، ايضا ، وبدرجات متفاوتة ، كل القيادات الجماهيرية التي تحولت الى قوى يمينية ذليلة تتعقب الاحداث وتلهث وراءنا ، ومن ثم نهري ، بعد وقوع الحسنة ، لدراسته ، وتوضيح جوانبه الايجابية واسلبية ، بعد ان نكون مهمتها الجديدة في استنساخ المستقبل ، والتحرك وفق المطبات التاريخية ، والارتفاع لمستوى ضموح وتطلع الجماهير وتخطي الجراح والتكسبات والنهوض بالمجتمع نحو التحولات الكبرى ..

لذا فان عمل الادباء هو حصيلة لهذا التركيب المعقد في مجتمعنا ، وحكومتنا .. فهم لم يقدموا حتى الان ، سوى دراسات متضاربة ، غير منسقة ، نشرت هنا وهناك ، عن العدوان والنكسة ، اسبابها ونتائجها .. الخ ! ، ولم يقدموا عملا مقاوفا ، او يخطط للثورة ، ويقف في مستوى النضال الذي تخوضه فصائل المقاومة في الارض المحتلة - مثلا - الا ما ندر ، وعلى المستوى الشهري في اكثر الاحيان ، واغلب هذا النتائج كان من الارض المحتلة ذاتها كاشعار محمود درويش وصحبه .. بل ان العديد من الكتابات انبرت ل طرح شعار « محو آثار العدوان » في حين ان اسهام اسرائيل في عدوان 1967 جاء نتيجة طبيعية لكون اسرائيل الادارة التنفيذية للاستعمار في الشرق الاوسط ، وفائدته العدوانية ، وهي تطلب بحكم ارتباطها بالامبريالية بديلا وتعويضا عن عملها هذا ، عدوانيا ايضا ، يستند في المستقبل لدعم وجودها ، وهذا ما تم فعلا في عدوان ه حزيران الذي اسهمت فيه امريكا بشكل فعال ، مع ان عملية الفصل بين استعمار عالمي واسرائيل خدشة كبيرة . فاسرائيل اوجدتها الامبرياليون في المنطقة تهتد امنها ، وتسهم في اجهاض حركات التحرر الوطني ، وتسف محاولات انتقير الاجتماعي الجارية في البلدان ذات الانظمة التقدمية والتي استهدفتها العدوان بالاساس ..

اذن ، فالضرورة تطرح علينا السعاز التالي : « محو اسرائيل ككيان استعماري واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية » - عن طريق - واقامة انظمة ديمقراطية ثورية في ابلدان المجازرة لفلسطين - بشكل خاص - ورفع مستوى الكفاح الثوري المسلح لشعب فلسطين تحسنت قيادة ثورية ..

والان نحن امام منعطف تاريخي جديد فما هو البديل الذي نضعه لانفسنا بعد النكسة ؟ هل هو حقا « محو آثار العدوان » ام « محو كيان اسرائيل كدولة استعمارية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية »؟ ان مطبات النضال اليومي ، وتفاصيل ما يجري في واقفنا العربي ، وضعتنا امام اجابة واحدة لا غير وهي الحل الوحيد .. والذي يكمن في : العمل الثوري المنظم لمحو دولة اسرائيل واقامة دولة فلسطين .. من ناحية .. ومن ناحية اخرى تصعيد النضال الثوري لبناء المجتمع الاشتراكي ، واقامة الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، كترسانة قوية ضد اي محاولات استعمارية ترمي وستهدف - كما كان ستراتيغ العدوان الاخير - القضاء على الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، والتوسع على حساب تخلفنا في المعركة ..

لماذا ؟ ..

لان الاشتراكية هي البديل الثوري الاوحد للخروج من الازمة الخائفة التي امر بها بلداننا العربية ، وذلك بسبب كون الانظمة الاخرى ، حققت عجزا - في تكوينها واساليبها - لنيل أي تقدم القضية الفلسطينية وقضية الانسان العربي . ولان الحياة تخطت - بالاساس - العقليات والانظمة التي تعتمد الذهنية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة القلقة ، وسيله للتخطيط والعمل ، وهي غارفة في شوفينيتها وبيروقراطيتها ..

اذن .. نحن امام الظاهرة الثورية التي اوجدتها هذا المنعطف التاريخي الخطير : ظاهرة الكفاح المسلح والتي تتطلب تصعيد العمل والفكر الثوريين نحو استكمال حرب المقاومة واتباع اعلى اشكال الكفاح المسلح ضد العدو .. اقول امام هذه الظاهرة الثورية نجد البعض من

الادباء والمتفنين لا زالوا يتمشدقون ، فقط ، بضرورة « تخطي » المرحلة الحاضرة .. لكنهم يرفضون - في اعماقهم - الحل الاشتراكي العلمسي وطريق الكفاح المسلح - فهم « ماركسيون » دون ماركسية حقة .. ودون نظرية علمية مرشدة ، وهذه الازدواجية في شخصية وذهنية المثقف البورجوازي الصغير ناتجة من « ان الوسط البورجوازي الصغير يساعد في بروز مختلف اشكال الانتهازية : اليمينية واليسارية واقومية .. وبحكم طبيعة الذهنية التي بورجوازية ك الذهنية القلقة ، فانها معرضة لوقوع في مواقع الذليلة والتحريرية ، وكذلك في مواقع الانعزالية والمعامرة ، اذ ليس بين الانتهازية اليمينية واليسارية اسوار صينية » ولكن احياة والواقع الثوري رفضا هذا المنهج الانتهازي ، ولم يعد بالامكان تبني الاشتراكية دون نظرية علمية مرشدة . فمفسر الاشتراكية العلمية لكونها « فكرا نضاليا ودليل عمل » نبتق ضرورة فهم انواع التعدد والتنوع في التجربة التطبيقية واستنساخ ما في تاريخنا وحضارتنا من مطبات ، ودراسة واقع كل بلد من البلدان ، واستيعابها ، للاسهام في بناء مستقبل الانسان الخلاق ..

ان « تخطي » هذه المرحلة ، يعني السير المتواصل في الطريق المؤدي للاشتراكية في البلدان ذات الانظمة التقدمية ، وتحرير البلدان الخاضعة بشكل مباشر او غير مباشر للتبعية الاستعمارية .

وهذا لا يتم دون اعتماد فكر ثوري اصيل يصحح الاوضاع ويسهم في تغيرها حين يتحول الى عمل ثوري منظم .. وان الذين يشكون في جدوى العمل الثوري المسلح ، كحرب المقاومة ، كوسيلة لتحرير ارضنا السليبية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية الثورية ، بظنون يتخطون بالحلول السياسية التي اثبتت نكسة ه حزيران خطورتها وفشلها كحل اوحد ..

ان الذين يؤمنون « بالامر الواقع » ويرتدون - في ذات الوقت - لبوس اثورية يجب ان يدركوا ان الواقع الموضوعي يتطلب منا تغييره كدورين حقيقيين لا اقراره « كامر واقع » والتفرج عليه ! .. ان هؤلاء يجب ان ينزع عنهم برقعهم « الثوري » الذي ينسبون انفسهم - فيه - على الماركسية ! .. لان الماركسية - كما يقول لينين - : « ليست تلك النظرية التي تنتقل من تقرير واقع موضوعي الى تبريره كامر واقع .. » فانظرية الثورية لا يمكن فصلها عن السياسة الثورية ، وحتى في مجال العلاقات الدبلوماسية ، يجب ان نخضع للقييمات والاعتبارات ، التي المبدأ الطبقي ولواجبات التضامن الاممي ..

والاشتراكيون من الادباء يجب ان يرفضوا اي فصل بين هاتين الاصرين ، لان الفصل يعني السقوط في مناهات ميتافيزيقية غير مجدية ، فحل القضية الفلسطينية لا يتأتى من عواطف بييلة تقدمها - كادباء - الى العالم مسطرة على الورق .. فانواقع الثوري يحسد امامنا مهمات ثورية في كامل مجالات حياتنا ، وفي فكرنا واخلقيتنا ، وحتى في تركيبنا السيكلوجي ، لان الثورة لا يمكن انجازها دون رجال ثوريين حقيقيين ، ودون اتباع اعلى اشكال العنف الثوري ضد العدو ..

فماذا نستخلص من ذلك ؟

هل نستخلص برنامجا ثوريا لعمل الادباء كجنود معركة وجنود فكر وقلم ؟ ام نظل نشترق داخل افكار رومانسية عن الثورة .. ام نظل ساديين في سقوطنا بأوهام الحماس القومي لذهنية البورجوازية الصغيرة الذي لا يبرهن وام يبرهن على تماسك في الارض الفكرية بل يدل على اندفاع قد يثمر نتائج سلبية فيجهض اي عمل ثوري منسق .. لان اي عمل نضمه من خلال المنطلق الثوري يجب ان يدرس كامل الظروف الذاتية والموضوعية ، ويحللها بشكل دقيق وواع ، ويفهم شروط اي عمل ثوري ، للسعي من خلاله لتحقيق الافعال المنجزة ، وتحقيق كامل للمشاريع الثورية ، عبر تضامن كافة القوى التقدمية وتنسيق عملها في جبهة نضالية تقدمية ترسم التكتيكات السليمة التي تحقق في الاثني والبعيد اهداف الثورة ، وتطلعات الجماهير ..

ولكن .. ثمة سؤال يقفز هنا للذهن : هل تحررنا حقا من « العقلية - التتمة على الصفحة 63 -

ادبنا الجديد امام مسؤولية

- تنمة المنشور على الصفحة ١٦ -

المشائرية والطائفية والسحرية والسلطوية التي قادتنا السى كوارث عديدة لا تنحصر في النكسة (١) .. ؟

اظن ، كلا .. فليس الحديث التجريدي عن التخلص من هذه المضامين المتخلقة هو الذي يحدد لنا ، ولابد التقدمي ، انماء والاغناء ، للاسترشاد الى طريق الخلاص الفعلي من الازمة ، لان عقليات ادبية وفكرية وسياسية عديدة لا تزال عامرة بهذه المضامين الرجعية الموروثة فهل يحضر العقل العربي من موروثاته السلبية ، فقط ، لانه ارطم بانكسة ، واذ ذلك سيسطيع الاندماج في العمل انوري المنسق لتحرير فلسطين ؟

اظن كلا .. ايضا ، لان النكسة لم تهز في هذه العقليات الداخل وتظهره ..

اننا - كتوريين - ندرك جيدا ان لا خيار لنا في الوصول السى طريق الخدص وانتخلص من واقنا المتخلف ، الممزق ، والمزري ، الا بالعمل الثوري المنظم ، للاطاحة بكل الانظمة الهزيلة الرجعية ومواجهة الامبريالية بصف موحد ، والا فسناكلنا الامبريالية وفصائلها العميلة ان نحن سمحنا لانفسنا الجلوس معها - مرة اخرى - على مائدة واحدة .. اذن كيف يتم لنا ((الافتتاح على تجارب الاخرين وافكارهم قبل صياغة حياتنا الجديدة)) ؟ (٢) .. سن برفض الماركسية كملسعه انسانية وانتسبت بمعطيات غير واضحة عن الاشتراكية ؟ دون تحديد معالمها ومضامينها ومنطقتها وجذورها التاريخية ؟ من ثم دون الاذنان لتحيقة كون كل التجارب الانسرابية في انعالم تسمد جذورها ومعطياتها الايديولوجية من الفلسفة الماركسية اللينينية على اختلاف اساليب التطبيق وطرائقه ؟ فالتجربة المحلية تفني النظرية ، وتجعلنا امام ضرورة الاستعادة من واقنا الموضوعي وتاريخنا وحضارتنا ، والعمل وفق تربيانا الاجتماعى وانتفاي وانفسى .. وهذا لا يعني بالتاكيد رفض الماركسية وايجاد بديل لها مطوع اصله عن الفكر الاشتراكي !..

ان تجربات بعض المثقفين وتنظيرهم واجتهاداتهم لايجاد ((نظرية عربية ماركسية)) ، ولن تبني اشراكية علمية في الوطن العربي ، فمصفون - وحدهم - مع توريتهم لا يمكنهم قطعا بناء المجتمع الاشتراكي بافكارهم وحدها .. ولا يمكنهم ان يفودوا - وحدهم ايضا - المجتمع لبناء الاشتراكية ما لم يتمدوا على الطبقة العاملة وحزبها الثوري ، وما لم يتحمى النظام الكفاحي بين كافة قوى الثورة ، وما لم تتحالف الطبقة العاملة والملاحين عبر طليعتهم الثورية ، مع فصائل النضال الاخرى ، لتفود النضال السياسى والطبقي كما تتحقق عن طريق اسهامها الفعلي في الحكم ، اشتراكية حقة ، بأقل التضحيات الممكنة .

اما الطول الوسط ، والطريق الانراسماني البطيء ، فهو لا يحقق انجازها الثوري في البلدان المتخلفة صناعيا ، بقيادة بورجوازية صغيرة ، يمكن ضربها بسهولة اعتمادا على الثغرات الكبيرة الموجودة بهمق في تركيبها وقيادتها ، واساليبها في العمل والبناء ، ودون الارتكاز الاساس على قوى الثورة الحقيقية : العمال والفلاحين .

فحتى المثقف الثوري المنحدر طبقيًا من البورجوازية ، ما لم يتخلص كليا من عنعنة طبقيه ، فسوف لن يستطيع ان يغير بنية المجتمع .. اذ ان بنية وتركيب المجتمع تطبع هؤلاء بطابعها المميز ، وقد تسحبهم جذورهم الطبقيه للسقوط امام اول هزة عنيفة تضعهم على المحك ، ان لم يتحصنوا بكفاحية عالية ، واستعداد كبير للتضحية والصمود ..

فما هو السبيل اذن لتلاحم قوى الثورة ؟ هل هو طريق العمل الليبرالي ، ام طريق الجبهة النضالية التقدمية ؟

باقتنادي ان السبيل المثمر ، والايجابي ، هو طريق الجبهة النضالية التقدمية ، هذه الجبهة التي تضم كافة العناصر الثورية

(١) ، (٢) انظر . على هامش الترجمة لنزبه الحكيم في كتاب

ماركسية القرن العشرين لروجه غارودي ص ١٦ ..

المعادية للاستعمار والاقطاع والصهيونية والرجعية والمؤمنة بالاشتراكية فورا ، ومنهجنا .. والمحففة لافعالها الثورية عبر افخاح المسلح ضد العدو الامبريالي الترس وصنائه .. لافامة دولة الديمقراطية الثورية في البلدان التي لا تزال تدور في فلك الاستعمار واقامة السلطة الاشتراكية الديمقراطية الثورية في المجتمعات التي تحررت من ريفه الاستعمار لتدفع ونقود جماهير سعيًا لاسكمال بناء المجتمع الافضل .. لكيما نضع للمتعطف التاريخي الجديد ، دلالة الاجتماعيه ، واثورية في عملنا الفكري والسياسي والاجسمي .

٢ - صوت الاشتراكية :

اذن .. فاذا كانت نكسة ١٩٤٨ والحرب العالمية الثانية ، قد ارسدت الادب على مرفأ تقدمي ، فان نكسة ١٩٦٧ يجب ان تحول الادب نحو مرحلة جديدة فترسيه على مرفأ اشتراكي وان يتجلى صوت الاشتراكية في ادبنا فويا ، عميقا ، لانه يرتطم بارض صلبة ، هي ارض النضال القتيد لجماهيرنا الباسلة ، هذا الصوت الزاخر بالمعطيات الكفاحية العالية ، لكي يكون ادبنا مؤثرا وفاعلا ..

فتحن نفهم الاشتراكية شرطا حياتيا يتنفس عن خلاله الانسان انسام فكره ويجني ثمار جهوده وكدحه وينام وفي اعماقه اطمئنان خالص من المستقبل ..

وتحن نفهم الاشتراكية بعدا اسانيا تموت فيه العنعات القبليه والاقليمية والشوفينية ويندرج الى غير رجعة الفكر اليميني ، وافكار الهيمنة والاحتكار اللامشروع لنتاجات الانسان وعمله وفكره ..

وتحن نفهم الاشتراكية اخلاقية ثورية تقوم على تقديس الانسان كمبدأ ، وهدف .. فتقيم مسيرة نبيلة وتظاهرة حضارية نقيه لانجازاته تحفر في المستقبل اثارها الشامخة .. ونحن نفهم الاشتراكية طريقا نحو عالم اكثر انارة ، واحتضانا للانسان .. يشمخ فيه برأيه ورايته ومعتقده ، وكيانه ، دون ادنى خوف من عسف او ارهاق او تجويع او سجن او نفي او قتل ، او مستقبل مجهول ..

فالاشتراكية تجتاز كل التعريفات الاكاديمية وتكشف عن جوهر وجودها بعلامتين مضيئتين :

الخيز والحرية ..

ومن هنا .. ووفقا لذلك ينبغي خلق المناخ الفكري المستقر على شروط مادية لا طبقيه ، وفي تركيب تشريعي وتنفيذي ثوري ميسر ونظيف ، لكيما يكون طريق الاشتراكية فكرا مجسدا في التطبيق الواعي .. ونظرية علمية مرشدة تقني بالحياة ، ونظرة دياكتيكية للكون ، تحمل ديناميكيتها الثورية ، واستمرار وجودها ، واندفاعها الواعي بزخم فاعل ومغير وجديد ، لكي تمنح العالم لونا الانساني دون زيف .. وباختصار لا يمكن ان يكون لادبنا صوتيه الاشتراكي دون ادباء اشتراكيين فكرا وعملا وذلك لا يتحقق - في الظرف الراهن - الا عبر ثلاثة شروط :

١ - شرط الحرية لكل الآراء التقدمية بالتعبير عن منهجها دون خوف وقوبلة ونصية جامدة او قرارات رسمية فوفية .

٢ - شرط الاسهام والتحرك لكل قوى الثورة في مساحات نابضة بالاطمئنان يصوغها العمل السياسى الجبهوي المنظم ..

٣ - شرط الديمقراطية السياسية والاجتماعية لخلق ناشط ثوري متمرس و متمكن من بلورة الاهداف والاماني الوطنية والقومية والتحرك والتفاعل مع الجماهير الواسعة لخلق وصياغة تجربتها النضالية بنتاجات هادفة تثرى الانسانية وتتفاعل معها ..

وعبر هذه الشروط يجد الاديب نفسه وسط جو مشبع بالعمل و متمكن من ايجاد الرؤية السليمة والمحللة وجعل الارهاصات تتفاعل مع الوجود العامل فتخلق افعالها المنتمية بالاشياء والمؤثرة بها .. لكي يبقى صوت الاشتراكية في الادب متساوقا مع ظروفنا الموضوعية المتطلعة لتحقيق اهدافنا الثورية عبر هذا المنعطف التاريخي الحاسم ..

ولكن امام الادباء التقدميين اكثر من علامة مؤثرة في مجرى العمل والحياة ..

فالاديب يعيش منفاه وغربته ومميشته المضنية ، وهذه ليست محنة فردية ، بل هي ظاهرة سلبية ووصمة سوداء في جبين واقنا

كذلك فعلت « زقاق المدق » والثلاثية لنجيب محفوظ ، في تعبيرها عن اعماق الشعب المصري ، عبر محاولة تطلعية لخلق مجتمع الانسان الافضل .. اذن ، فالادب الحقيقي الذي يحتوي ويعمق صوت الاشتراكية يجب ان ينبع من التجربة المحلية ويربطها بالبعد الانساني الاكثر شمولا لكي تكتسب وجهها الانساني ، عبر وجهها المحلي والقومي .. وتشكل جانبا دعائيا يخدم قضيتنا ، بالاساس .. لان الادب الدعائي ليس جرحا اذ خدم من خلاله الاديب قضية شعبه ووطنه ، بل لو اخذنا قضايا العصر لوجدنا ان التبعئة الفكرية ، تسبق كل معركة ، وان لكل معركة ادبها الدعائي والثوري .. وما منحتنا ايانا تجربة ه حيران في مجال الدعاية وكسب الراي العام العالمي وافتقارنا الى الجانب الدعائي المحكم والسليم في تبيان قضيتنا للراي العام العالمي ، لفرض كسبه جعل حتى بعض اصدقائنا يتخطون بمواقف متناقضة نتيجة تأثير الدعاية الصهيونية عليهم ..

فالادب لكي يكون وجهها معبرا عن منعطفنا التاريخي بعد نكسة ٦٧ يجب ان يتسق فيه المضمون الثوري مع الشكل الفني الذي يؤثر ، ويجذب ويحقق التعاطف الكبير مع قضيتنا حتى لو استعمل الاديب الرمز كوسيلة لاغناء وتكثيف المعنى وزيادة تأثيره على ذهن القارئ ، وبشكل خاص القارئ في الخارج .. فالادب الاشتراكي ، لا يخلو من تأثر بالاشكال الفنية الجديدة ولكن يجب ان يكون هذا التأثر واعيا .. وهكذا فامام صوت الاشتراكية وسائل عدة واشكال متنوعة للتعبير الاكثر تأثيرا وفعالية ، في اذهان الناس ، لتتحول الافكار الى قوة مادية مؤثرة وفعالة ..

وهكذا تتجمع تطلعات الاديب - كائنات - عبر واقعه المعاشي ، عبر محنته وغربته لتكشف امامه طريق العمل الثوري وتدفعه ، عبر النضال الدائب لمنح المرحلة سمتها الاصيل في التحفز الفعال للتعبير والعمل الاكثر جوهرية لصياغة مجتمعنا الافضل .. المجتمع الاشتراكي الذي نحب ، ونحلم ، ونعمل ، ونناضل .. لكي يبقى صوت الاشتراكية، هو الصوت الاكثر تعبيرا وتجسيذا للضرورات النضالية التي تطرحها المرحلة عبر منعطفها التاريخي ، ومن اجل التمكن من تحقيق الحاصل

محمد الجزائري

بفداد

وظروفنا ، وعالمنا المرعب .. فالانسان يعيش الغربة داخل وخارج وطنه بسبب الانتهاكات العديدة لواطنته ووجوده وانسانيته وهذه المحنة تتجسد في كونها ظاهرة عامة ، يعيشها قطاع كبير من الناس ، والاديب لا يمثل سوى علامة الطريق في المسيرة النبيلة ، ولكيما ندرس واقع المحنة ، يجب ان ندرس واقع انساننا كشرط للفعل الاول فسي عملية تصعيد وخلق الحوار الاشتراكي عبر لقاء او مؤتمر ، او تنظيم ..

ونعود ، لنجد ان العلاج الحقيقي هو في اقتلاع اسباب المعاناة الانسانية مع الجذر وهي شروط المعاناة القانونية والاجتماعية والسياسية والفكرية .. اعني في تركيب وشكل السلطات التي تحظى بالعزلة من قبل اوسع الجماهير ، وايجاد البديل الثوري المتكمن من بناء الاشتراكية ..

اما التناقضات الايديولوجية .. وهي ظاهرة موجودة في فكرنا العربي .. فيجب ان تشكل علامة عاقية وصحة للادباء ، فهي وجه من اوجه الصراع الداخلي في المجتمع ، لا ان تكون ظاهرة عداوية ، ثارية .. وطبيعي لا يعني هذا ايجاد مصالحة فكرية على حساب المبادئ بل ايجاد المناخ الطبيعي لحوار نظيف دون اشهار « قميص عثمان » بوجه هذه الجهة او تلك بمناسبة وبغير مناسبة .. فانا لا ادعو الى تعايش سلمي فكري بين اليمين واليسار فهذا لا يمكن ان يكون ما دامت ثمة فوارق طبقية موجودة ومصادر ثقافية متنوعة ، تمنح سماتها العامة لمثلها .. بل انا ادعو لتطلعات مشتركة وتعايش ينبع من ايمان موحد بقضية الانسان والاشتراكية ..

اما الالتزام ، فهو ليس الزاما قطعيا ، بل هو اختيار واع للارتباط بجماهير الشعب وتبني قضاياها الوطنية والقومية والاممية ، عبر خصوصية معينة يعبر من خلالها الاديب ، عن الواقع المحلي ، بحيث يكون ادبنا متميز الملامح المحلية ، في اطاره القومي ، وبمضمون انساني فعال ، يرتبط مع المسار الانساني الاشتراكي في العالم باكثر من اصرة .. « فنشيد الارض » لعبد الملك نوري و « الوجه الآخر » لفؤاد التكرلي و « مولود آخر » لغائب طعمة فرمان و « غضب المدينة » لمهدي عيسن الصقر و « حياة قاسية » لشاكر خصيبك - مثلا - مجاميع قصصية عراقية عبرت عن صميمية انسان العراق وتطلعاته الخيرة بشكل عام ..

نُورَةٌ فِي الثُّورَةِ!

بقلم

ريجى دوبريه

ترجمة الياس سحاب

ريجى دوبريه : اسم يعرفه اليوم جميع المثقفين في العالم ، لانه رمز « المثقف المناضل » الذي يجمع العلم الواسع والفلسفة العميقة الى النضال وروح التضحية . وقد وصف هذا الكاتب الفرنسي الشاب بأنه « فيلسوف الثوار ومهندس العقيدة وحرب العصابات في اميركا اللاتينية » . وهذا الكتاب : « ثورة في الثورة » هو حصيلة جلسات نقاش طويلة مع فيديل كاسترو ، ومحاولة لتحديد مبادئ الصراع المسلح والصراع السياسي في اميركا اللاتينية . وقد أثار ولا يزال يثير ضجة كبيرة في الاوساط اليسارية في العالم بالنظر الى شخصية دوبريه الذي اعتقل في بوليفيا ، بعد ان قابل الزعيم الكوبي ارنستو تشي غيفارا الذي قتل اخيرا في حرب التحرير في بوليفيا . ويقضي مؤلف « ثورة في الثورة » حياته الآن في أحد سجون بوليفيا بعد ان حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما بتهمة انه اشترك في الثورة واعطى دروسا في الثورات لرجال العصابات ، وعمل مع غيفارا قبل مقتله في بوليفيا .

صدر حديثا :

الثن ٣٥٠ ق . ل .